Understanding of Islam in Japan Between Past and Present
(A Review of Samir Nouh's Book)

Salah Osman
(Menoufia University, Egypt)
salah.mohamed@art.menofia.edu.eg

فهم الإسلام في اليابان (بين الماضي والحاضر)

للأستاذ الدكتور/ سمير نوح

قراءة وتعليق/ أ. د. صلاح عثمان

مجلة دراسات شرقية، مركز الدراسات المتعددة الموضوعات للأديان (سيسمور) بجامعة دوشيشا باليابان، بالتعاون مع مركز دراسات يابانية وشرقية بجامعة القاهرة، العدد السادس، يوليو ٢٠١٢، ص ص ١٧٣ – ١٨٩

***

تمهيد:

من الصعب أن تجد شجرة مثمرة وارفة الظلال في الصحراء الجـرداء، لكنك إن وجدتها تتجلى أمامك ملامح الحياة المفتقدة في الرمال الجافة الممتدة من حولك، وشأن الحاج الذي أنهكه عناء السفر ومشقة الارتحال، سرعان ما تخطو إليها ملتمسًا أمان ملاذها وطيب ثمراتها ونسمات ظلالها. حينئذ ترنـو بناظريك إلى السماء، سائلاً من سوى وأبدع الأكوان، أن تتباطأ بـك آنـات الزمان، وأن تتسع بك أبعاد المكان، كي تحمل مزيدًا من زاد الطريق، فـي رحلة تحسبها بلا عنوان.

تلك هي رحلة العقل في عالم تعلو فيه وتتضخم قامات الجهالة والتخلف، لتحجب بزيف استطالتها وعبث تضخمها قامات أخرى حقيقية، أبـت إلا أن تُبدع في صمت، بعيدًا عن صخب الحياة الثقافية الماجنـة، وكثـرة الثمـار

الفكرية الزائفة. هي قامات لا ينضب عطاؤها بإنكار الجاحدين، ولا يزيد من قدرها ما قد تخطه عنها أقلام المريدين؛ تحمل فوق أكتافها هموم وطن غشيته سكينة التغني بأمجاد الأسلاف، فراح في سُبات عميق، لا تسمع منه إلا أنيناً خافتاً؛ تارة بفعل دهسات ركب الحضارة المنطلق من فوقه بقوة، وتارة أخرى بفعل قسوة تشويهات العابثين وتعملق الأقزام من أبنائه.

ومن بين هذه القامات نلمح بوضوح مؤلف الكتاب الذي يتناوله هذا المقال بالعرض والتحليل؛ إنه الدكتور سمير عبد الحميد إبراهيم نوح، ابن محافظة الشرقية بمصر (من مواليد سنة ١٩٤٦)، وأستاذ اللغات الشرقية وآدابها بجامعة دوشيشا اليابانية Doshisha University، ونائب مدير مركز دراسات الأديان التوحيدية CISMOR باليابان. تعكس حياته الفكرية، وتنقلاته بين الجامعات العربية واليابانية المختلفة، ثراءً بحثيًا تعجز عن احتوائه بضعة صفحات، وتحمل كتاباته من أسرار اللغة رموزًا تبوح بكثرة من الدلالات. يعمق في نفسي الوجود، فألتقيه في درب التأمل حكيمًا، ينسج خيوط البحث بذات ما يؤرقني من أطروحات وتساؤلات ... وينفذ عقلي عبر صمت الواقع، فأرى فكره ينبض بالحياة في عالم كنت أظنه قد مات!!!.

التقيته مرتين؛ الأولى في أبريل من عام ٢٠٠٧، حيث كان مشاركًا في مؤتمر دولي عن الدراسات الأدبية واللغوية المقارنة في رحاب جامعة القاهرة. حينئذ أحسست أنني بإزاء مخاطرة عقلية من أكبر المخاطرات استثارة في حياتي، فلم أزل على تواصلٍ فكري معه حتى التقيته للمرة الثانية أثناء زيارتي لليابان، على خلفية دعوة تلقيتها لإلقاء محاضرة عن العلم في الإسلام بمركز دراسات الأديان التوحيدية بجامعة دوشيشا (وهي تجربة فكرية وحياتية فريدة أخصص لها مقالاً مستقلاً). كان أكثر ما أدهشني في المجتمع الياباني هو ذلك السلوك المفعم بالمبادئ والأخلاق الإسلامية

الأصيلة، لأناسٍ غير مسلمين: علم ... نظام ... أدب ... وفـــاء ... انتمـــاء ... احترام لحقوق الآخر وتقدير لحريته، والأكثر من ذلك رُقي التعامل مـــع الطبيعة والحوار الدائم معها دون استسلام لكوارثها وتقلباتها؛ فاليابانى يســـأل والطبيعة تجيب، بل وتبوح بأسرارها. قادتني الدهشة مرغمًـــا إلـــى مقولـــة الإمام محمد عبده: «لقد وجدت في الغرب إسلامًا بغير مسلمين، ووجدت في وطني مسلمين بغير إسلام»، وظل صدى المقولة يتردد عاصفًا بذهني لأيام، حتى توجهت إليه بتساؤلاتي: أليس هذا إسلامًا حقيقيًـــا، لِـــم هُـــم إذن غيـــر مسلمين؟ ألا تنقصهم فقط العقيدة؟ ولِم شوهنا نحن العقيدة التي حبانا الله بهـــا فتنازعنا وتخلفنا؟. وسرعان ما جاءتني إجابته الفاصلة: «الدين فـــي اليابـــان ثقافة حياة، وهي ثقافة تمتص ما يناسبها مما لدى الآخرين من أديان وعقائـــد وثقافات ... تتفاعل معها بقوة الحفاظ على الهوية، لتعكس في النهاية ما تراه من سلوكيات». قلت زدني، فأهداني كتابه «***فهم الإسلام فـــي اليابـــان بـــين الماضي والحاضر***»، الصادر باللغة العربية عن مكتبة الملك عبـــد العزيـــز العامة بالرياض عام ١٤٣١ هـــ - ٢٠١٠ م.

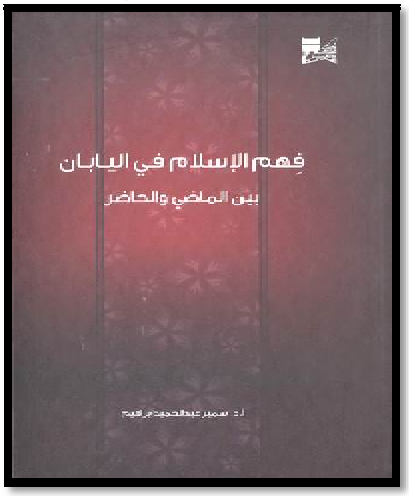

غلاف كتاب فهم الإسلام في اليابان

يقع الكتاب في ٢٥٦ صفحة من القطع المتوسط، ويتألف من مقدمة ومدخل وستة فصول، تتناول في مجملها طبيعة فهم اليابانيين للأديان بصفة عامة، وللدين الإسلامي بصفة خاصة، وفعاليات العلاقات العربية الإسلامية اليابانية منذ بدايتها وحتى وقتنا الراهن في معية المتغيرات الدولية المؤثرة، وطبيعة حياة المسلمين في اليابان: قضاياهم ومشكلاتهم وطموحاتهم، فضلاً عن أنشطة الجامعات اليابانية ومراكز البحوث والأكاديميين اليابانيين في مجال التعريف بالإسلام وبثقافته وحضارته. وتكمن أهمية الكتاب في كونه يمثل مصدرًا ثريًا للقارئ العربي المهتم بالشأن الياباني مقارنة بالوضع الحضاري للعالم العربي – الإسلامي، بالإضافة إلى ما يحمله بين جنباته من إجابات لتساؤلات تؤرق بالضرورة كل من سمع أو عايش أو قرأ عن التجربة اليابانية.، وهو ما يدفعنا لعرض فصوله بإيجاز وافٍ، كل على حدة.

مدخل الكتاب

تحت أربعة عناوين فرعية، يتناول المؤلف في مدخل الكتاب طبيعة الدين في المجتمع الياباني، وارتباطه بالمعتقدات المتداخلة لدى اليابانيين، ومفهومه كموروث شعبي قديم، فضلاً عن التحامه بمفهوم الأمن القومي الياباني. ويشير المؤلف إلى أن الدين لا يمثل لدى اليابانيين عقيدة يتمسك بها أفراد المجتمع مثلما هو الحال لدى المسلمين أو غيرهم من أصحاب العقائد الأخرى، بل هو ثقافة يمكن الأخذ منها بما يتناسب مع مزاج كل فرد. وهي ثقافة تمتص ما يناسبها مما لدى الآخرين من أديان وعقائد وثقافات. وإذا كان المثقفون والمفكرون اليابانيون قد رحبوا في فترة ما بالبوذية ثم المسيحية أو غيرها، فإن الشعب الياباني عمومًا لم يهتم بالأمر، ولم تتغير نظرنه فيما يتعلق بمفهومه للدين أو العقيدة. لا يعني ذلك انتفاء دور العقيدة

أو الدين في حياة اليابانيين، فقد كان لعقيدة الشنتو[1] Shinto دورها البارز في تشكيل الجانب الروحي لديهم.

أما عن فصول الكتاب، فنستعرضها بعناوينها العامة دون الفرعية.

أولاً: الإسلام في اليابان (البدايات):

تتسم نظرة المجتمع الياباني إلى الأديان عمومًا (كثقافة وافدة) بالنفعية المقيدة؛ فحين شعر اليابانيون في فترةٍ ما بأهمية الغرب، أفسحوا المجال آنذاك للمسيحية التي أسهمت قطعًا في تطوير اليابان ولو بنصيب بسيط. والنظرة ذاتها تنطبق تمامًا على علاقة اليابان المبكرة بالإسلام أو بعالم الإسلام، فقد انطلقت هذه العلاقة في خطين متوازين لا يزالان ممتدين حتى الآن: خط سياسي على مستوى الدولة ممثلة في الحكومة اليابانية، وخط على المستوى الشخصي أو الفردي. على الخط الأول (السياسي)، أقامت اليابان

---

(١) يصعب وصف الديانة الشنتوية، لأنها على العكس من كل الديانات الأخرى، لا يُعرف لها مؤسس أو معتقد بعينه تقوم عليه، أو حتى تعاليم محددة وعامة (اللهم إلا مجموعة من العادات والتقاليد تتجلى في ممارسات الحياة اليومية، كتقديس مظاهر الطبيعة)، الأمر الذي أتاح لها الانفتاح على الديانات الأخرى دون تأثير في خاصيتها وتأصلها الفريدين. وقد نشأت وتطورت عدة فرق وطوائف عبر التاريخ تدعي كلها الانتماء إلى عقيدة الشنتوية الأولية، لكن أيًا منها لم ينجح في فرض نظرياته وادعاءاته. من جهة أخرى، تُعتبر الشنتوية ديانة متفائلة، حيث تفترض أن كل إنسان كائن طيب في الأساس، وأن الشر يقع نتيجة تدخل الأرواح الشريرة، لذا تنحصر أغلب العبادات الشنتوية في إبعاد هذه الأرواح الشريرة عن طريق تنقية النفس، وأداء الصلوات (ويقوم فيها زائرو المزارات بتقديم أمانيهم ومطالبهم)، وتقديم القرابين للكامي Kami. وليس لعقيدة التوحيد مكان في الشنتوية، ذلك أن ثمة العديد من المظاهر التي يمكن أن تتجلى فيها القوى الإلهية، وأعداد الكامي لا يمكن حصرها، لذا يربط اليابانيون كل ظاهرة بآلهة معينة، ويمكن لأي شخص أن يُحدد آلهته الخاصة.

صلات تجارية وثقافية قوية مع دولة الخلافة العثمانية من خلال الوفود المختلفة، حيث كان من بين مبادئ الإصلاح الخمسة في عهد «ميجي»[٢] أن تبحث اليابان عن اكتساب الثقافة والعلوم العصرية في أي مكان من العالم، بما في ذلك العالم الإسلامي، واستخدامها في بناء ركائز الإمبراطورية اليابانية.

وقد أشار السلطان عبد الحميد في مذكراته إلى تطور العلاقات بين اليابان وتركيا إلى حد إرساله فرقاطة حربية إلى اليابان سنة ١٨٩٠ لتكون أول اتصال دبلوماسي بين اليابان ودولة الخلافة الإسلامية. أما على خط الاتصالات اليابانية الفردية بالإسلام، فهناك مثلاً «أحمد أريغا»[٣] الذي زار الهند وأسلم ثم عاد إلى اليابان وأشرف على ترجمة معاني القرآن الكريم، كما نشر عدة كتبات عن الإسلام على نفقته الخاصة، وواصل جهوده في منطقة أوساكا حتى وافته المنية سنة ١٩٤٦.

---

(٢) الإمبراطور ميجي Meiji (١٨٦٨ – ١٩١٢)، هو إمبراطور اليابان ذو الترتيب ١٢٢ وفقًا لترتيب الحكم التقليدي، حكم بدءًا من الثالث من فبراير العام ١٨٦٧ حتى وفاته. وخلال فترة حكمه، شهدت اليابان تحولات جذرية، سياسية واجتماعية، قادت البلاد إلى الفترة المعاصرة من تاريخها. أما مبادئ الإصلاح الخمسة التي اتخذت شكل قَسَم أو مبادئ دستورية، فهي: تشكيل مجالس أو مؤسسات تداولية حرة تتخذ القرار من خلال النقاش المفتوح؛ إشراك جميع الفئات في الاضطلاع بشئون الدولة؛ إلغاء القوانين والقيود المكبلة لتولي الوظائف المختلفة؛ الإقلاع عن جميع عادات الماضي السيئة والاحتكام فقط إلى قوانين الطبيعة؛ البحث عن المعرفة على المستوى الدولي لتعزيز أسس الحكم الامبراطوري.

(٣) بامباشيرو أريغا Bumpachiro Ariga (أو أحمد أريجا – بعد إسلامه): ياباني مسيحي كان يعمل في التجارة. زار بومباي Bombay سنة ١٩٠٠، ولفت نظره مسجد فيها فدخله واعتنق الإسلام، ثم عاد إلى اليابان ليمارس الدعوة.

وعلى كل حال، بدأ اهتمامٌ ضعيف في اليابان بثقافة وأدبيات الشرق الأوسط الإسلامي مع انطلاق العقد الثاني من القرن العشرين؛ ففي العام ١٩٢٣ نشر «ساكاموتو كين» Sakamoto Ken-ici «سيرة محمد» (صلى الله عليه وسلم)، بعد أن ترجم معاني القرآن الكريم سنة ١٩٢٠، وكان قد سبقه راهب بوذي يُدعى «نوكاريا كايتا» Nukariya Kaita بكتابٍ عنوانه «***كاى كيتسو محمد***»، وهو ما يمكن ترجمته بـ «محمد الرجل الخفي الذي يمكنه حل كل المشكلات»، ولهذا تُرجم العنوان بالإنجليزية Invincible Mohamed سنة ١٩٠٥، حيث وضع صورة خيالية لشخصية الرسول صلى الله عليه وسلم. كذلك وضع «كوتسيمورا كيتسوأو» Kuchimura Kitsuo سنة ١٩٢٣ كتابًا بعنوان «محمد الرسول الكريم» Mahomet, A Holy Prophet، وفي الوقت ذاته تقريبًا وضع «سيغاوي كاميئيه» Segawue Kamie كتابًا بعنوان Isramu أي «الإسلام»، وهو يُعد أول محاولة لفهم تعاليم الإسلام بشكل عام.

ثانيًا: مرحلة فهم الإسلام قبل الحرب العالمية الثانية:

ومع العقد الثالث من القرن العشرين، شهد الإسلام في اليابان مرحلةً أكثر ازدهارًا وإثمارًا، فبهدف فهم الإسلام بشكلٍ مباشر بدلاً من وجود وسيط أوربي، ظهرت بعض الجمعيات المختصة بدراسة الإسلام؛ من أهمها «جمعية مسجد كوبيه» Kobe التي تأسست سنة ١٩٣٥، ثم «جمعية مسجد طوكيو» سنة ١٩٣٨، و«جمعية مسجد ناغويا» Nagoya سنة ١٩٣٧، وغيرها من الجمعيات التي كانت تسعى إلى التعريف بالإسلام. بل لقد ارتبط المسلمون المهاجرون إلى اليابان بالقادة العسكريين اليابانيين، حيث كان لهم دور سياسي يؤدونه خارج اليابان إذا ما اقتضت الضرورة. وتشير إحدى الإحصائيات إلى ظهور كثرة من المؤلفات المعنية بالدراسات الإسلامية في

فترة لا تتعدى خمس عشرة سنة، حيث صدر نحو ١٦٠٠ عمل بواقع ١١٢ مطبوعة كل سنة.

ثالثًا: فهم الإسلام في اليابان بعد الحرب العالمية الثانية:

تغيرت الظروف تمامًا بعد خسارة اليابان واستسلامها عقب ضربها بالقنابل الذرية، حيث أدرك السياسيون والباحثون اليابانيون فشل فكرة آسيا الكبرى وإمكانية انضمام العالم الإسلامي إلى اليابان. ونتيجة لذلك، توقفت المؤسسات والجمعيات ومراكز البحوث التي كانت تعمل على التعريف بالإسلام، أو على الأقل نشر الدراسات الإسلامية بهدف الدراسة فقط، كما توقف صدور المطبوعات التي كانت تحمل تعريفًا بالإسلام وبالشعوب الإسلامية وثقافتها.

وبعد أن استعادت اليابان حقها في إدارة شئونها سنة ١٩٥١، قام مائة ياباني مسلم في العام التالي بتأسيس جمعية مستقلة للمسلمين اليابانيين باسم «جمعية الصداقة الإسلامية اليابانية»، لتكون نواة «جمعية مسلمي اليابان» التي عقدت اجتماعها التأسيس في التاسع من مارس سنة ١٩٥٣ في منطقة إوينو Ueno.

وقد تجمعت عدة عوامل في ذلك الحين ساعدت على ازدياد زخم تقديم الإسلام لليابانيين؛ لعل أهمها:

١) الاتصال بالعالم الإسلامي؛
٢) تعلم اللغة العربية؛
٣) ترجمة معاني القرآن الكريم؛
٤) تأليف وترجمة الكتب الإسلامية.

ولا نغفل في هذا الصدد عن نمط آخر لتقديم الإسلام وفهمه في اليابان، ألا وهو السلوك الطيب والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وهو النمط الذي تبناه ودعا إليه «الحاج عبد الكريم سايتو»، الذي عمل أستاذًا في قسم دراسات الشرق الأوسط بجامعة تاكشوكو حتى سنة ١٩٧٨، بعد عمله بالسفارة اليابانية في كابول(٤).

رابعًا: فهم الإسلام في الوقت الحاضر:

بعد أزمة النفط، وتطور العلاقات بين اليابان وبلدان العالم العربي والإسلامي، اهتمت اليابان بدعوة الدارسين من الدول المختلفة لاستكمال دراستهم فيها، مما أسهم في دعم العلاقات بين اليابان والعالم العربي الإسلامي. ويمكن تلخيص وجهة النظر اليابانية فيما يتعلق بعوامل نجاح الدعوة الإسلامية داخل اليابان إبان تلك المرحلة في ثلاث نقاط؛ الأولى منها تؤكد على ضرورة أن يمر الياباني بمرحلة الخبرة العملية بالحياة الإسلامية بعد اعتناقه الإسلام. أما الثانية فمؤداها دراسة أسباب عدم انتشار الإسلام في اليابان مثلما انتشر في الدول المجاورة مثل إندونيسيا وماليزيا، فما لم يصل عدد اليابانيين المسلمين إلى مائة ألف أو مائتي ألف – فيما يؤكد المستشرق الياباني «شينجي مايجيما»(٥) – فلن يمكن تقديم الثقافة الإسلامية أو تشكيل

---

(٤) عبد الكريم سايتو Abdul-Karim Satio، رائد من رواد الدعوة الإسلامية في اليابان، أسلم في الخمسينات من القرن العشرين، وعمل أستاذًا للاقتصاد في جامعة تاكشوكو Takushoku، حيث أسلم على يديه عشرات من الشباب اليابانيين.

(٥) شينجي مايجيما Shinji Maejima (١٩٠٣ – ١٩٨٣)، مستشرق ياباني، اشتغل بتدريس التاريخ الإسلامي في جامعة كيئيو Keio University بطوكيو. كان أول من نقل قصص «ألف ليلة وليلة» من العربية إلى اليابانية، لكنه مات قبل أن يستكمل ترجمة المجلد الثاني عشر (الذي يحتوى قصص على بابا وعلاء الدين)، وقد استكمل «أسامو إكيدا» Osamu Ikeda سلسلة القصص بستة مجلدات أخرى في وقت لاحق.

كيان اجتماعي إسلامي في اليابان. أما الثالثة فتركز على أن فهم الإسلام يستلزم البحث في المواءمة بين تعاليم الإسلام وبين ظروف الحياة داخل المجتمع الياباني، حقًا أن المنهج العملي لليابانيين يتفق كثيرًا مع تعاليم الإسلام، لكنهم يفتقدون قوة الإيمان اللازم لجعل الإسلام منهج حياة.

ترتبط بهذه النقاط نقطة أخرى هامة، تتعلق بالقضايا الفقهية التي يتفق المسلمون على مبادئها الأساسية ويختلفون في تطبيقها نظرًا لاختلاف الأبعاد الجغرافية والاجتماعية واللغوية والسياسية للعالم الإسلامي، فلا يمكن تجاهل الموروث الثقافي لكل شعب أو لكل منطقة، وهو ما انعكس بالضرورة على المجتمع الياباني حديث العهد بالإسلام. من ذلك مثلاً القضايا الفقهية الخاصة بالمرأة المسلمة؛ ففي وقت لم تتيسر فيه الفرصة لإقامة تجمع صغير للمسلمين، يكون من الصعب مطالبة المسلمات اليابانيات بأن يعشن حياتهن العامة طبقًا للقواعد والأسس المتعارف عليها في الدول الإسلامية، وبالتالي لا يمكن مثلاً أن نطالبهن بألا يتلقين تعليمهن بجانب الرجال، أو يعملن جنبًا إلى جنب مع الرجال في كل مناشط الحياة، وهو أمر قد تراه بعض المجتمعات الإسلامية مرفوضًا دينيًا، لذا يدعو المسلمون اليابانيون علماء العالم الإسلامي إلى التجديد في الفقه والتفكير جديًا في كيفية توفيق حياة المسلم الذي يعيش في مجتمع غير مسلم، لاسيما في ظل انتشار الفهم المعادي للإسلام تحت تأثير وجهة النظر الضيقة للإعلام تجاه ما يحدث في بعض مناطق العالم.

وعلى الرغم من أن دراسة الاتجاهات الصوفية كانت هي المسيطرة على اتجاهات معظم الباحثين اليابانيين، إلا أن ظهور الحركات الإسلامية التي توصف بالأصولية، وهي في معظمها سنية، جذب انتباه الباحثين، لاسيما بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١ وما تلاها من أحداث

سياسية مؤثرة في العالمين العربي والإسلامي. وهكذا بدأ في إبريل ٢٠٠٣ مشروع جديد باسم «دراسات إسلامية مقارنة»، تبناه مركز دراسات الشرق الأوسط، وكان الهدف منه هو مقارنة النظم البرلمانية والدستورية لدى الشعوب العربية والإيرانية والتركية باستخدام الوثائق المتاحة على قاعدة البيانات.

هذه الدراسات تؤكد تزايد أهمية العالم الإسلامي في القرن الحالي على مستوى اليابان والعالم أجمع، ومن هنا رأي المتخصصون اليابانيون ضرورة وجود تشكيل جيد من الباحثين والدارسين للاستمرار مستقبلاً في تطوير الدراسات الإسلامية في اليابان. وهو ما يحملنا إلى المشروع المعاصر الذي يركز على البحوث المشتركة للمناطق المرتبطة بالإسلام تحت عنوان عام وأساسي هو «المعرفة والحضارة في الإسلام». والهدف من هذا المشروع الضخم هو دراسة الإسلام ثقافيًا وحضاريًا استنادًا إلى وجهات نظر أبناء الإسلام الأصليين من جهة، ووجهات نظر من هم خارجه من جهة أخرى، بمعنى عولمة الدراسات الإسلامية والشرق أوسطية في اليابان. وارتباطًا بهذا المشروع، يعرض المؤلف لخمسة نماذج أساسية تمثل الاتجاهات البحثية المعاصرة لفهم الإسلام حاليًا، نوجزها في النقاط التالية:

١. مشروع البحث الرابع بكلية الدراسات العليا لدراسات أقاليم آسيا وأفريقيا بجامعة كيوتو KIAS: وبدأ العمل الأساسي به في النصف الثاني من سنة ٢٠٠٧ ضمن خمس وحدات بحثية تنوعت فيها موضوعات الدراسة لتشمل دراسة الفكر الشيعي في إيران والعراق ودول الخليج العربية، والشرق الأوسط والعولمة، وقضايا وتطورات الأوضاع السياسية في العراق واليمن وفلسطين، وعلاقة إيران بالدول العربية (وبصفة خاصة سوريا)،

والإسلام في الهند وأفغانستان، والفرق الصوفية وعقائدها، والاقتصاد الإسلامي وتطوراته، إلى غير ذلك من قضايا تتعلق بالعالم الإسلامي.

٢. مركز الدراسات المتعددة المواضيع للأديان التوحيدية – سيسمور CISMOR: وتم تأسيسه سنة ٢٠٠٣ بجامعة دوشيشا بكيوتو، بهدفٍ أساسي هو إجراء بحوث متنوعة عن الأديان التوحيدية من منظور التعايش الثقافي والأمني، لكن يبدو أن تأسيسه كان مرتبطًا من قريب أو بعيد بدراسة ارتباط الدين بقضايا العالم بعد هجمات الحادي عش من سبتمبر ٢٠٠١، وما تلاها من عمليات انتحارية ومظاهر عنف ارتبطت بالأديان، لاسيما الإسلام، حيث فهم اليابانيون أن الأصولية الإسلامية هدفها مقاومة النفوذ الأمريكي، وبخاصة بعد الحرب على العراق ثم ارتفاع حدة الصراع العربي الإسرائيلي في أعقاب الجرائم التي ترتكبها إسرائيل إزاء الفلسطينيين. ومن هنا ركزت بحوث المركز وحلقات النقاش والندوات والمحاضرات العامة التي ينظمها على فهم ارتباط الإسلام بالسياسة والاقتصاد والحضارة والمجتمع والثقافة وغيرها. ومن خلال دعوة باحثين مسلمين من أقطار مختلفة أسهم المركز في التعريف بجوانب من الفكر الإسلامي والدين الإسلامي الذي شاع وصفه زورًا بالإرهاب. وللمركز دورية علمية (جيسمور JISMOR) صدر عددها الأول سنة ٢٠٠٥.

٣. معهد دراسات الشريعة بجامعة تاكشوكو Shariah Research Institute: وتم تأسيسه سنة ٢٠٠٢ تحت اسم «مركز بحوث دراسات الشريعة»، بعد أن كان مجرد لجنة للشريعة ضمن جمعية مسلمي اليابان، وبعد سنوات قليلة تحول إلى معهد لبحوث الشريعة. ويهتم المعهد أساسًا بتقديم مبادئ الشريعة الإسلامية للدراسين اليابانيين.

٤. وحدة دراسات المناطق الإسلامية بجامعة كيوتو Kyoto Islamic Area Studies: وجاء تأسيسها نتيجة لتصاعد الاهتمام الياباني بالإسلام السياسي كجزء من مشروع دراسة الحضارة الإسلامية، لذا يتركز اهتمام الوحدة على دراسة المنظمات والمؤسسات الدولية في العالم الإسلامي دراسة تحليلية مقارنة، مع التركيز على تلك التي تمتد جذورها في الشرق الأوسط وجنوب آسيا، وذلك بتتبع التطور التاريخي لها، وعلاقاتها الفكرية، والخلفية الاجتماعية لنشأتها وظهور قادتها، فضلاً عن اتجاهاتها الفكرية والسياسية.

٥. معهد شينغيتسو Shingetsu لدراسة العلاقات الإسلامية اليابانية: وهو نموذج للجهود الفردية في فهم الإسلام. أسسه الأمريكي «مايكل بين»[٦] Michael Penn في بداية أغسطس من سنة ٢٠٠٤ في مدينة كيتاكيوشو Kitakyushu غرب اليابان. يقوم المركز برصد كل مجريات الأحداث على صعيد العلاقات اليابانية الإسلامية (مع ضم إسرائيل)، ومن هنا اتسعت دائرة اهتماماته حتى صارت المعلومات التي ينشرها (اعتمادًا على الأعضاء المنتسبين إليه، وهم أكثر من ثلاثمائة عضو) تمثل دائرة معارف أوقاعدة بيانات يُسمح لكل الأعضاء بالمساهمة فيها بأقلامهم.

---

(٦) مايكل بين، باحث أمريكي، وُلد في جنوب كاليفورنيا سنة ١٩٧٠، درس التاريخ بجامعة كاليفورنيا – سانتا باربارا University of California, Santa Barbara وتخرج منها العام ١٩٩٢ ليعمل بمركز دراسات الشرق الأوسط بجامعة تكساس في أوستن University of Texas at Austin. ركزت أطروحته للماجستير التي حصل عليها سنة ١٩٩٦ على الفن والسياسة الحديثين في العراق. سافر إلى اليابان سنة ١٩٩٧ ليدرس اللغة اليابانية وعلاقات اليابان بالعالم الإسلامي، ثم قام بتأسيس المعهد المذكور أعلاه.

خامسًا: أثر العولمة في فهم الإسلام في المجتمع الياباني المعاصر:

كان الوجود الإسلامي – وما زال – موضع ترحيب في اليابان لأسباب مختلفة، لذا لم تنشغل اليابان بهاجس الخوف الأوربي من وجود مقيمين أو وافدين مسلمين على أراضيها، وام تتخوف أيضًا من بناء مساجد بمآذن في ظل احترام المجتمع الياباني لحرية المعتقد، وفي ظل مجتمع يسوده التسامح الديني. بل إن الوافد والمقيم ليشعران بالاطمئنان والأمان، ويتمتعان بالحقوق ذاتها التي يتمتع بها المواطن الياباني العادي (فيما عدا حق الانتخاب العام الذي تسعى بعض الأحزاب اليابانية إلى جعله حقًا للمقيمين غير اليابانيين).

وثمة وجهة نظر أخرى للباحثين اليابانيين مؤداها أن سبب عدم التخوف هو تدني نسبة تواجد المسلمين في اليابان، على عكس الحال في أوربا. ومع أن الحكومة اليابانية لا تمتلك رسميًا (أو لا تسعي لأن تمتلك رسميًا) إحصائية بعدد المسلمين في اليابان، سواء من المواطنين أو غيرهم من المقيمين والوافدين الأجانب، إلا أن هناك إحصائيات تتم على نحو غير رسمي، ووفقًا للأمريكي «مايكل بين»، كان عدد المسلمين اليابانيين سنة ١٩٨٠ نحو عشرة آلاف، زاد بسرعة في عام ١٩٩٠ مع قدوم أعداد كبيرة من العمال الأجانب للعمل في اليابان(٧). وأيًا كان العدد، فإن كثافة الهجرة

---

(٧) في أغسطس ٢٠١٢، أفاد رئيس جمعية مسلمي اليابان «أمين توكوماسو» Amin Tokumasu في تصريح له، أنه لا توجد سجلات بأعداد المسلمين من أصل ياباني، لكنه يعتقد أن عددهم يصل إلى عشرة آلاف تقريبًا ضمن ١٠٠ ألف مسلم يعيشون في اليابان. واعتبر توكوماسو، أن هذا العدد ضئيل، بالمقارنة مع العدد الإجمالي لسكان اليابان البالغ حوالي ١٣٠ مليون، مرجعًا السبب في ذلك إلى ثلاثة عوامل، أولها الماضي القصير لعلاقات اليابان مع العالم الإسلامي، حيث لا يتجاوز مائة سنة، فيما يعود ماضي ديانة الشنتو إلى ١٥٠٠ سنة؛ وثانيها قلة معلومات اليابانيين عن الإسلام؛ وثالثها أن =

والزواج من يابانيات، وتأسيس عدد كبير من المساجد، وانتشار محلات بيع الطعام الحلال، ...، كل ذلك يُعد مؤشرًا على وجود جماعات إسلامية مترابطة حياتيًا، ليس فقط في العاصمة طوكيو وضواحيها، بل وفي بعض المدن الأخرى، لدرجة أن مدينة إيسوزاكي Isozaki صارت تُعرف باسم مدينة اليابان الإسلامية، حيث يوجد بها خمس محلات لبيع الطعام الحلال في وسط المدينة، فضلاً عن المسجد الكبير. ومع زيادة عدد المساجد، ارتفع عدد هذه المحلات إلى أكثر من خمسين محلاً، انتشرت في مناطق مختلفة من اليابان، حتى داخل الجامعات اليابانية مثل جامعة كيوتو.

من جهة أخرى، تسعى بعض الطوائف الدينية اليابانية إلى إقامة علاقات مع الدول الإسلامية (باعتبار الإسلام ممثلاً في هيئة أديان اليابان)، وذلك عن طريق جمعية مسلمي اليابان، ومن خلال الاتصال بالمؤسسات الإسلامية الدولية، مثل الأزهر الشريف ورابطة العالم الإسلامي. ومن هذه الطوائف طائفة التنداي البوذية[٨]، التي تحرص على أن يكون الإسلام ممثلاً في

= الإسلام الذي تعرفه اليابان عن طريق أوربا ناقص وخاطئ. وأوضح أن الأخبار المتلاحقة عن الحروب والاقتتال والهجمات الانتحارية التي تشهدها البلدان الإسلامية في الآونة الأخيرة على الأخص، ساهمت في تشويه صورة الإسلام في اليابان، مؤكدًا على ضرورة العمل على تصحيح هذه الصورة ونشر الإسلام في البلاد. وأعرب عن رغبة جمعيته، البالغ عدد أعضائها ٤٠٠ عضو، في بناء مركز ثقافي إلى جوار مسجد طوكيو الذي أنشأته رئاسة الشئون الدينية التركية، بغرض التعريف بالإسلام بشكلٍ أفضل، ومشيرًا إلى أن الجمعية تسعى إلى تقديم الإسلام من خلال التاريخ والثقافة والحضارة، لأن ذلك يشد اهتمام الناس بشكلٍ أكبر.

(٨) التنداي Tendai فرقة بوذية يابانية أدخلها الكاهن سايكو Saichō (٧٦٧ – ٨٢٢) إلى اليابان، وكانت ترى أن الحقيقة واحدة، أو أن الواقع واحد، غير أنه يمكن معرفة هذا الواحد بثلاثة آلاف من تجلياته.

مؤتمرها السنوي العالمي. كذلك الحال بالنسبة لطائفة بوذية أخرى تُسمى «ريشّو كوسيئي كاي»[٩] Rissho Kosei Kai التي حاولت مؤخرًا إقامة علاقة مع العالم الإسلامي بعد مشاركة زعيمها الديني في مؤتمر مدريد الدولي للحوار بين الثقافات والأديان العام ٢٠٠٨.

من الجهود المبذولة أيضًا للمواءمة بين الإسلام والمجتمع الياباني في عصر العولمة، تلك التي تقوم بها جمعية مسلمي اليابان التي يرجع تأسيسها إلى سنة ١٩٥٢ (وهي هيئة معترف بها داخل اليابان وخارجها بوصفها الممثل الوحيد للمسلمين اليابانيين)، ، حيث تعمل على تقديم يد العون للمسلمين الذين يمثلون أقلية في اليابان، وتسعى إلى تمكينهم من ممارسة شعائرهم بما يتماشى مع تقاليد المجتمع الياباني، وإلى تعريف اليابانيين بالإسلام ليصبح مألوفًا لديهم، وتقوية عقيدة المسلمين داخل اليابان، ورفع مستوى التعليم لديهم، فضلاً عن دعم أواصر الصداقة والمحبة مع المسلمين خارج اليابان. ويدعو المؤلف كافة المؤسسات الإسلامية خارج اليابان، وبصفة خاصة في الدول الغنية، إلى تقديم الدعم للجمعية من خلال تأسيس عدد من المشروعات التي تتبناها الجمعية من أجل شرح الإسلام لليابانيين من جهة، ودعم المسلمين اليابانيين من جهة أخرى.

أخيرًا يتناول المؤلف جهود اليابانيين من حيث الدراسات الأكاديمية الهادفة إلى فهم وتفهيم الإسلام، ويقدم لنا ثلاثة نماذج بارزة نشير إليها بإيجاز:

١. يوزو إيتاغاكي Yūzō Itagaki (من مواليد سنة ١٩٣١): وهو أستاذ غير متفرغ في جامعتي طوكيو وكيزاي Keizai (الاقتصاد بطوكيو)، كما يقوم

---

(٩) ريشّو كوسيئي كاي (أو القاعة المقدسة العظيمة Great Sacred Hall)، طائفة بوذية يابانية تأسست سنة ١٩٣٨.

بالتنسيق والإشراف على برنامج حوار الحضارات بين اليابان والعالم الإسلامي منذ سنة ٢٠٠٢، ويُعد أول من قدم لليابانيين الأكاديميين والإعلاميين القضية الفلسطينية على نحو يتصف بالحيادية والإنصاف، متحديًا بذلك أجهزة الإعلام المتأثرة بوجهة النظر الغربية المنحازة إلى إسرائيل على حساب الشعب الفلسطيني.

٢. ياسر (ياسوشي) كوسوغي Yasushi Kosugi (من مواليد ١٩٥٣): وهو من خريجي قسم الحديث بكلية أصول الدين (جامعة الأزهر)، ويعمل حاليًا أستاذًا في كلية الدراسات العليا بجامعة كيوتو (دراسات مناطق آسيا وأفريقيا)، وبالتالي تتنوع اهتماماته بحكم عمله ودراساته السابقة. يُشارك «كوسوغي» في مشروع دراسات الحضارة الإسلامية – مع غيره من الباحثين – بالبحث في موضوعات تطبيقية مثل الاقتصاد الإسلامي والبيئة والتقنية في بلدان العالم الإسلامي، وله أسلوبه العملي في التعريف بالإسلام وفي فهمه هو ذاته للإسلام؛ حيث قام بتأسيس مركز ثقافي إسلامي في كيوتو بجهودٍ ذاتية، وتحمل كمواطن ياباني مسؤولية تسجيله حتى نال الاعتراف الرسمي بعد ثلاث سنوات من تأسيسه.

٣. حسن كوناكاتا Hassan Konakata (من مواليد سنة ١٩٦٠): تخرج في جامعة طوكيو، ثم حصل على الدكتوراه في الفلسفة الإسلامية من جامعة القاهرة العام ١٩٩٢، بعدها التحق بالعمل في كلية التربية بجامعة ياماغوتشي Yamaguchi، ومنها انتقل إلى جامعة دوشيشا، ولا يزال يعمل بها أستاذًا للإلهيات حتى الآن. جاء اعتناق كوناكاتا للإسلام عن طريق القراءة أكثر من تأثره الشخصي بأحد المسلمين، وجذبه حبه لدراسة الفلسفة السياسية إلى شيخ الإسلام «ابن تيمية» لما له من أفكار سياسية متميزة. أما مفتاح شخصيته كمفكر وداعية مسلم متميز فيتجلى في رؤيته

لأسلوب الدعوة الإسلامية، إذ يذهب إلى أن نجاحها لا يتوقف على كثرة الأموال أو توفر القدرة على الدعاية، بل يتوقف على العلم الصحيح المقرون بالإخلاص وحسن السيرة أو الأسوة الحسنة.

سادسًا: فهم الإسلام في اليابان (تطلعات وآمال):

لم تعد اليابان كما كانت في الأزمنة القديمة بلدًا مغلقًا لا يُرحب بالأجانب خشية فقدان التجانس السكاني، بل باتت بلدًا مفتوحًا للجميع، يسعى إلى التعرف على كل ثقافات العالم خضوعًا لموجة العولمة، بُغية المشاركة في توجيهها والإسهام فيها بنصيب يحفظ لها مقوماتها وسماتها وقيمها التقليدية التي عاشت على أساسها ولم تنل منها موجات المد الغربي أو الخضوع زمنًا للاحتلال الأمريكي. فإذا نظرنا إلى الإسلام، وجدنا أنه لا يمثل بالنسبة لليابان الدين ومبادئه أو شريعته، بل يمثل في الحقيقة عالم الإسلام؛ أعني الدول الإسلامية التي تفرقت وتكونت في إفريقيا وآسيا وأوربا، فضلاً عن الأقليات المسلمة التي ظهرت بقوة في أمريكا والاتحاد الأوربي، وأخيرًا في اليابان. ويصعب اليوم حصر عدد مراكز البحوث والجامعات اليابانية التي تهتم باللغة العربية والثقافة الإسلامية والعالم الإسلامي ككل، لأن الإسلام لا يعني في اليابان اللغة العربية أو القرآن والحديث أو علوم الشريعة، بل يعنى الحياة الاجتماعية والثقافية، فضلاً عن الجغرافيا والتاريخ، ويعنى في المقام الأول المشترك الثقافي بين شعوب العالم الإسلامي واليابان، بل وشعوب العالم أجمع ... هكذا يرى اليابانيون الإسلام اليوم.

وفي معية عصر التدفق المعلوماتي أو المعرفي الذي نعيشه اليوم، المرتبط بما تعاني منه بلدان العالم الإسلامي من فقرٍ فكري يحد من قدراتها على إنتاج المعلومات العالمية والتنافس الفكري، اضطلع المفكرون والباحثون اليابانيون بمهمة تقديم الإسلام لمواطنيهم نيابةً عنا!. وليس ذلك

بالأمر الجديد؛ فبعد احتلال اليابان لسنغافورة[١٠] فكر العسكريون اليابانيون في بناء كعبة أخرى غير التي في مكة المكرمة، وكأن الكعبة في نظرهم صنم بوذي يمكن نقله من مكانٍ إلى آخر، حتى يحج إليها المسلمون في شرق آسيا لتجنب مشقة السفر وتحاشي المرور في أراضي الأعداء، ولولا تدخل الدارسين المهتمين بالإسلام، وكشفهم لجهل قادة اليابان بالدين الإسلامي، لتم بناء كعبة في سنغافورة!. والآن يقوم الباحثون اليابانيون بالمهمة ذاتها، خصوصًا بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١، حيث حظي الإسلام بنصيب وافر من تكنولوجيا المعلومات اليابانية على أيدي اليابانيين أنفسهم، وتنوعت وتشعبت اهتماماتهم المتعلقة بدراسة الإسلام لتصل إلى كل ركن من أركان العالم حيث يعيش المسلمون. وهنا يشير المؤلف إلى أن بإمكان جامعات العالم الإسلامي ومؤسساتها البحثية أن تؤدي دورًا مهمًا وفعالاً إذا ما ارتبطت بالمؤسسات البحثية في اليابان المهتمة بالشأن الإسلامي، على الأقل من جهة ارتباطها معها في شبكة المعلومات، والمشاركة في عملية الإبداع المعرفي، بدلاً من أن تتخذ الصورة المعروفة عنها، وهي صورة المتفرج!.

والحق أننا إذا علمنا مدى حاجة اليابان إلى العمالة الأجنبية في العقود القادمة حتى عام ٢٠٥٠، لأدركنا كم الزيادة المتوقعة في عدد المسلمين باليابان مستقبلاً، فطبقًا لتقارير الأمم المتحدة، تحتاج اليابان إلى المزيد من المهاجرين كي تُبقي على اقتصادها قويًا، ومع انخفاض عدد المواليد – مع

---

(١٠) استمر الاحتلال الياباني لسنغافورة من سنة ١٩٤٢ حتى سنة ١٩٤٥، وهو يُعد واحدًا من أقسى فترات الحكم في سنغافورة، حيث انتهك العسكريون اليابانيون عمدًا القواعد المقبولة لسلوك الحرب والاحتلال، فتم سجن وإعدام كل من تطرق إليه الشك أنه من أعداء اليابان، وذلك من خلال المحاكم العسكرية، ويُذكر أن ما بين ٥٠٠٠ – ٢٥٠٠٠ سنغافوري قد فقدوا حياتهم في ظل الاحتلال.

ارتفاع نسبة الوفيات – تحتاج اليابان إلى ٣٣ مليون ونصف المليون مهاجر خلال الفترة من ١٩٩٥ إلى ٢٠٥٠، وهو ما يعني أنها تحتاج إلى ٦٠٩ آلاف مهاجر كل سنة تقريبًا. لذا من المتوقع أن يعيش في اليابان مستقبلاً عددٌ كبير من المهاجرين المسلمين، وهؤلاء سيعيشون في مجتمع يتحلى بروح التسامح، ويتسم بعقلانية تجعله أقرب إلى جوهر دين الإسلام.

كل ذلك يدعونا إلى النظر في قضايا الإسلام المستقبلية في اليابان، والتي من أهمها تعليم أبناء المسلمين، لاسيما في ظل النقص الواضح في عدد الأطفال اليابانيين (لدرجة إغلاق المدارس الابتدائية في بعض المناطق)، في الوقت الذي تزداد فيه أعداد الأطفال غير اليابانيين الذين يمثلون ثقافة مختلفة ويفرضون وجود تغيير في المدارس.

تعقيب:

لا شك أن ثمة فرقًا بين أن تقرأ كتابًا وبين أن تقرأ عنه؛ فمثلك في الحالة الأولى كمثل من يجلس إلى مائدةٍ عامرة بأصناف الطاعم، أولها وآخرها وما بينهما له، يأكل منها كيفما شاء ومتى شاء حتى تكتمل وجبته؛ أما في الحالة الثانية، فمثلك كمثل من أناب من يحمل إليه خلاصتها، فيفقد مما تحتويه ما قد يُخل بوجبته. وهكذا هو حال هذا المقال؛ فقد ركزنا فيه على خطوط الكتاب العريضة وأفكاره الأساسية التي تسلسلت وتنوعت عبر فصوله، لكن ثمة تحليلات ونماذج وشخصيات ومواقف وأمثلة ... حالت مساحة المقال عن ذكرها أو الإشارة إليها، ولا تكتمل صورة الكتاب بدونها، لأنها تُضيف أبعادًا وخطوطًا تجعل الصورة أكثر جلاءً ووضوحًا، لذا أنصح القارئ بضرورة قراءة الكتاب، فالمقال لا يُغني عنه بحالٍ من الأحوال.

وقد اتبع المؤلف في عرضه لموضوعات الكتاب منهجًا مركبًا، يجمع بين التأريخ والتحليل والوصف والمقارنة والنقد، الأمر الذي أضفى عليه

ثراءً بحثيًا مميزًا، وتنوعًا فريدًا في عناصر الإشكالية التي يُعالجها، والتي قد لا يحتويها مجتمعةُ أي كتابٍ آخر. كذلك اتبع المؤلف أسلوبًا يتسم بالسلاسة والبساطة، واضعًا في اعتباره تباين اهتمامات المتلقين وتخصصاتهم ومستوياتهم المعرفية، وهو ما يعني اتساع مساحة جمهور المتلقين لتشمل الأكاديميين، وصُناع القرار، والمهتمين، إلى جانب القراء العاديين.

وربما كان أول ما يلفت النظر ويثير التساؤل إزاء الكتاب هو عنوانه: «فهم الإسلام في اليابان»؛ هل يعني فهم اليابانيين أنفسهم للإسلام والمسلمين، أم فهمنا نحن المسلمين لأوضاع الإسلام والمسلمين في اليابان؟ لكنك ما أن تبدأ في القراءة وتسترسل فيها حتى تُدرك أنه يجمع بين المعنيين، لتخرج في النهاية بنتيجة مؤداها أن ما يعرفه اليابانيون عنا كمسلمين يفوق بمراحل ما نعرفه نحن عن أنفسنا، سواء من حيث التاريخ أو الجغرافيا أو البنية السياسية والاجتماعية والثقافية، وأن ما يعرفونه عن الإسلام كدين يتأرجح بين الفهم الصحيح لمن عايش منهم التجربة الإسلامية بجهودٍ ذاتية تتحدى تأثيرات الإعلام الغربي وسلوكيات المسلمين (الشائنة غالبًا) حكامًا وشعوبًا وجماعات وأفراد، وبين الفهم الخاطئ لمن اكتفى منهم بملامح الصورة المعروضة عن الإسلام إعلاميًا وسلوكيًا. والتبعة في هذا الفهم الخاطئ نتحملها نحن بالطبع؛ تتحملها حكوماتنا وجامعاتنا ومؤسساتنا ومراكزنا البحثية التي لا تجيد إلا التغني بأمجادٍ الماضي المنزوية، ثم إضاعة الفرص المتاحة والبكاء على اللبن المسكوب؛ ويتحملها المسلمون الذين يكتفون من الدين بمظهره دون روحه، بعطائه دون التزاماته، وبأمسه دون يومه وغده.

الكتاب في مجمله صرخة يطلقها أحد الذين عايشوا التجربة اليابانية عن قُرب، ولسنوات طويلة ... فهل من واعٍ ... وهل من مستمع؟ ... وهل من مجيب؟

References

سمير إبراهيم عبد الحميد نوح: ***فهم الإسلام في اليابان بين الماضي والحاضر***، مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض، ١٤٣١ هـ/ ٢٠١٠ م.

(صلاح عثمان – البيطاش – الإسكندرية – مارس ٢٠١٥)